الأنماط التحويلية للزمن في النص القرآني

دراسة نحوية دلالية

د. مصطفى أحمد عبد العليم[1]

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فيتميز الاستخدام القرآني للزمن بأنماطه المختلفة بخصوصية شديدة سواء على المستوى الدلالي أم التركيبي، وذلك راجع – ضمن ما يرجع إليه– إلى أن القرآن كلام الله الذي هو خالق الزمان والمكان، أو بعبارة أخرى هو كلام من هو فوق الزمان والمكان، وقد أدرك بعض علمائنا القدامى هذه الخصوصية وهم يتدارسون أساليب القرآن وتجلياته المختلفة في التعبير عن الزمن فها هو ذا ابن جني يحكي عن شيخه أبي علي رأيه في قول الله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: 39] قائلا: "طاولت أبا علي –رحمه الله تعالى– في هذا وراجعته فيه عودًا على بدء، فكان أكثر ما برد منه في اليد أنّه لما كانت الدار الآخرة تلي الدار الدنيا لا فاصل بينهما، إنما هي هذه فهذه، صار ما يقع في الآخرة كأنه واقع في الدنيا، فلذلك أجرى اليوم وهو الآخرة مجرى وقت الظلم وهو قوله: ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ ووقت الظلم إنما كان في الدنيا. فإن لم تفعل هذا وترتكبه بقي ﴿ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ غير متعلق بشيء، فيصير ما قاله أبو علي إلى أنه كأنه أبدل ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ من اليوم، أو كرره عليه، وهو كأنه هو".[2]

([1]) أستاذ مساعد بقسم النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

(2) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني الهيئة المصرية العامة للكتاب ط4، 174/2.

(ISSN : 2536 - 9555)

وواضح أن الإشكال هنا هو مجيء (إذ) وهي ظرف للماضي في سياق المستقبل وهو وقت الآخرة.

ويتساءل الرازي عن مجيء صفات الله تعالى في سياق الماضي في نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:11]، فإن قيل لم قال: ﴿ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ مع أنه الآن كذلك. قلنا: قال الخليل: الخبر عن الله بهذه الألفاظ كالخبر بالحال والاستقبال؛ لأنه تعالى منزه عن الدخول تحت الزمان".[3]

ومن مظاهر هذه الخصوصية القرآنية في معالجة التعبيرات الزمنية وضع الماضي موضع المستقبل. ووضع المستقبل موضع الماضي، وعطف المضارع على الماضي، وعطف الماضي على المضارع، وعطف الأمر على الماضي، وعطف الأمر على المضارع، ووضع (إذ) مكان (إذا)، ووضع (إذا) مكان (إذ)، إلى غير ذلك من التحولات الزمنية التي لابد لفهمها من أجل التدبر الأمثل للقرآن الكريم.

ومن هنا يمكننا أن نحدد أهداف البحث التي نبتغيها في النقاط الآتية:

1. بيان الدلالات الأصلية للزمن والدلالات الفرعية المنبثقة عنها والتحولات التي تعتري الصيغ الزمنية في القرآن الكريم.
2. إظهار سعة اللغة العربية في التعبير عن الزمن، والرد على بعض الذين زعموا فقر العربية في هذا المجال.
3. بيان خصوصية التعبير عن الزمن في القرآن الكريم، وأنماط التحول في استخدامه والأغراض البلاغية والأبعاد الدلالية وراء ذلك.

(3) مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3 (1420هـ) 520/9.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث الأساسية في وجود ثنائية في البنية التركيبية الدالة على الزمن في كثير من آيات القرآن الكريم تلك الثنائية التي تُعزى في النهاية إلى وجود مستويين ظاهر وعميق، وقد يخفى على أصحاب النظرة العجلى ملاحظة عمق الدلالة القرآنية في ذلك. وسيتولى البحث الكشف عن هذه الدلالات الكامنة وراء الصيغ والعبارات منطلقا من وجهة النظر التحويلية.

الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات اللغوية التي عالجت موضوع الزمن من أشهرها دراسة الدكتور مالك المطلبي التي تحمل عنوان" الزمن واللغة"[4] وواضح من العنوان ومن مطالعة الكتاب أنه لم يخصص بحثه لدراسة الزمن في القرآن الكريم.

ومنها كتاب "الزمن في القرآن الكريم دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه" [5] لصاحبه الدكتور بكري عبد الكريم، ولم يخصصه لدراسة الظاهرة التحويلية للزمن في القرآن الكريم وهي الأشد بروزًا، والأصعب إشكالا أمام القارئ لآيات التنزيل الحكيم.

ومنها أيضًا كتاب الدكتور تمام حسان" اللغة العربية معناها ومبناها" الذي عالج فيه قضية الزمن في ضوء نظرية القرائن محاولا الكشف عن تفريعات جديدة للأزمنة سوى ما استقر عليه الدرس النحوي القديم[6] ، لكنه أيضًا لم يكن من هدفه معالجة الزمن في القرآن الكريم ولا النظر إليه في ضوء النظرية التحويلية.

---

(4) طبع بالهيئة المصرية العامة للكتاب 1986م.

(5) طبع بدار الفجر بالقاهرة 1997م.

(6) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء(1994م) من ص 240-260.

(ISSN : 2536 - 9555)

لكني لا أنكر أني أفدت من هذه الكتب في بعض قضايا الزمن اللغوية والنحوية كما أفدت كثيرا من كتب التفسير القديمة والحديثة التي عالجت التراكيب الزمنية في كتاب الله عز وجل.

خطة البحث:

وقد رأيت أن أتناول هذا الموضوع من خلال مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة، تتضمن المقدمة بيان أهمية الموضوع، ومشكلته، وأهداف البحث والإشارة إلى أهم الجهود السابقة فيه والمنهج المتبع في دراسته وخطة البحث فيه.

ويتناول التمهيد مفهوم الزمن والعلاقة بينه وبين الفعل باعتباره أهم أقسام الكلم ارتباطًا به.

ويتناول الفصل الأول تحولات الدلالة التركيبية للزمن في القرآن الكريم، وأعني بها تحول دلالة الكلمة من زمن إلى زمن، ويشمل أربعة مباحث:

المبحث الأول: التحول عن المستقبل إلى الماضي.

المبحث الثاني: التحول عن الماضي إلى المستقبل أو الحاضر.

المبحث الثالث: التحول عن المستقبل إلى الحاضر.

المبحث الرابع: التحول من الزمن المختص إلى الزمن الدائم.

وأما الفصل الثاني: فيختص بدراسة عوارض التركيب والتحولات الزمنية في النص القرآني وينتظم مبحثين:

المبحث الأول: عوارض الترتيب الزمني.

المبحث الثاني: عوارض الحذف.

الخاتمة. وفيها أهم النتائج التي أسفر عنها البحث.

تمهيد

في مفهوم الزمن وعلاقته بالفعل عند النحاة العرب

اعتمد النحاة العرب في تقسيمهم لأنواع الفعل إلى ماض ومضارع وأمر على أساس وجودي واقعي هو مناسبة الأفعال للأزمنة الفلكية، وهذه المناسبة تتمثل في ثلاثة أمور:

أولها: أن الزمان من مقومات الفعل؛ يوجد عند وجوده، وينعدم عند عدمه. ومن ثم عرفوا الفعل بأنه ما دل على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة(7)

ويقول ابن السراج: "إن الفعل لا ينصب شيئا إلا وفي الفعل دليل عليه، فمن ذلك المصادر؛ لأنك إذا قلت: "قام" ففيه دليل على أنه فعل قياما... وكذلك تعديه إلى أسماء الزمان؛ لأن الفعل لا يكون إلا في زمان".(8)

الثاني: أن كلا منهما مرتبط بمعنى الحركة والتجدد؛ فالزمان حركة الأفلاك، والفعل حركة الأشخاص والأشياء.

يقول ابن يعيش في توضيح هذه الصلة بين الأفعال والأزمنة: " ولما كان الزمان ثلاثة: ماض وحاضر ومستقبل، وذلك من قبل أن الأزمنة حركات الفلك؛ فمنها حركة مضت، ومنها حركة لم تأت بعد، ومنها حركة تفصل بين الماضية والآتية – كانت الأفعال كذلك: ماض ومستقبل وحاضر".(9)

---

(7) يراجع في معنى الفعل مثلا كافية ابن الحاجب بشرح الرضي. مطبعة الشركة الصافية العثمانية 1210هـ.5/4

(8) الأصول في النحو، لأبي بكر بن السراج، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3 (1987) 106/1.

(9) شرح المفصل، مكتبة المتنبي، القاهرة 4/7، ويقول الأنباري: "كانت الأفعال ثلاثة: ماض، وحاضر، ومستقبل؛ لأن الأزمنة ثلاثة يختص كل فعل منها بزمان من الأزمنة الثلاثة". الإنصاف 237/1.

(ISSN : 2536 - 9555)

الثالث: أن دلالة الفعل على الزمن دلالة لفظية وخاصة ومحددة بخلاف دلالة غيره من أنواع الكلم كالأسماء؛ فإنها إما دلالة خارجية وعامة كما في المصادر نحو "الضرب والقتل"، وإما دلالة عارضة بسبب العمل ومشابهة الفعل كأسماء الفاعلين والمفعولين وأسماء الأفعال. وفي توضيح هذه الدلالة يقول ابن عصفور في مشابهته بين ظرف الزمان والمصدر:" إنَّ ظرف الزمان لمّا أشبه المصدر وَصَلَ الفعلِ إلى جميع ضروبه من مبهم ومختص ومعدود بنفسه كما يصل إلى المصدر. وجه الشبه بينهما أنَّ المصدر يدلّ عليه الفعل بحروفه نحو: ضربت، ألا ترى أنّه يدلّ على الضرب بحروفه. وظرف الزمان يدلّ عليه الفعل بصيغته، ألا ترى أنَّ صيغة قام تُعطِي أنَّ الزمان ماضٍ وصيغة يقومُ تعطي أنَّ الزمان غير ماضٍ. فاجتمعا في أنَّ الفعل يدلّ عليهما بلفظه. " [10]

ويقول العكبري:" وإنما عمل الفعل في جميع أسماء الزمان لأن صيغة الفعل تدل عليه كما تدل على المصدر إلا أن دلالتها على الزمان من جهة حركاته وعلى المصدر من جهة حروفه وكلاهما لفظ"[11]

وهكذا يتضح أن مسألة الربط بين الفعل والزمن لها ما يسوغها من الواقع اللغوي والدليل العقلي. وربما كان ارتباط الفعل بمعنى الحركة والتجدد هو السبب في كثرة التحولات الدلالية واللفظية لصيغ الأفعال.

(10)ينظر شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور، علي بن مؤمن، تقديم فواز الشعار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1998) 314/1.

(11)ينظر اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري، أبي البقاء عبد الله بن الحسين، تحقيق د. عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط1 (1995) 272/1.

الفصل الأول

التحولات الدلالية للزمن في القرآن الكريم

التحول سمة من سمات اللغة عامة والعربية خاصة فالجملة الواحدة في العربية يمكن أن تتحول إلى جمل أخرى عديدة بعدة وسائل من أشهرها التقديم والتأخير والحذف والزيادة والاستبدال، وقد أطال النحاة الحديث عن الأصل والفرع، والحذف والذكر، والظاهر والمقدر،والقلب والإبدال والعدول وعوارض التركيب والبنية، وكلها أمور تدل على أن التحول والتغير أمر جوهري في لغة العرب.

وقد برزت في العصر الحديث نظرية تستند إلى هذه الخاصية عرفت بالنظرية التحويلية، ومن أشهر روادها اللغوي الأمريكي تشومسكي، وهو يلتقي مع النحاة العرب في القول بوجود بنيتين للتركيب إحداهما سطحية والأخرى عميقة وبوجود علاقة وطيدة بين اللغة والفكر، وفي العناية بالمعنى في البحث اللغوي.[12]

والذي يعنينا في بحثنا هذا هو التركيز على الجوانب التحويلية في الاستخدام اللغوي للزمن.

حيث يلاحظ أن الدلالات الأصلية للزمن تتحول إلى دلالات أخرى بحسب السياقات المختلفة كالتعبير بالماضي عن المستقبل والتعبير بالحاضر عن الماضي، ومجيء الخبر في صورة الإنشاء ومجيء الإنشاء في صورة الخبر، وغير ذلك مما يكشف عن سعة العربية في التعبير عن الزمن.

وسنتناول هذه الجوانب في القرآن الكريم من خلال المباحث الآتية:

(12)انظر: في العلاقة بين النحو العربي والنحو التحويلي النحو العربي والدرس الحديث للدكتور لعبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت (1979) 142 وما بعدها، والتحويل في النحو العربي للدكتور رابح بو معزة، عالم الكتب الحديث، ط1(2008) 46.

(ISSN : 2536 - 9555)

المبحث الأول

التحول عن المستقبل إلى الماضي

من أساليب القرآن الكريم وضع الماضي موضع المستقبل للدلالة على تحقيقه وتأكيده، وكونه مقطوعًا به، وقد ذكر ذلك البلاغيون والنحاة وعلماء القرآن. يقول ابن الأثير: "وأما الإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل فهو عكس ما تقدمة يعنى الإخبار بالمستقبل عن الماضي – وفائدته أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعدُ كان ذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده؛ لأن الفعل الماضي يعطى من المعنى أنه قد كان ووجد، وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها [13]

وقد كثر في القرآن المكي التعبير عن المستقبل بالماضي وخاصة في حديث القيامة الذي يعد سمة بارزة من سمات السور المكية، وذلك لأن أمر القيامة كان موضع إنكار المشركين وتكذيبهم فكان القرآن يحدثهم عنه بصيغة الماضي لبيان أنه واقع لا محاله. ولذلك عدة أنماط منها:

النمط الأول: **وضع الفعل الماضي موضع المضارع، وله أمثلة كثيرة منها**:

1– قوله تعالى: ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل: 1].

2– قوله سبحانه: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ. وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر:68، 69].

(13)المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير ت 637هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت(1990)15/2.

فهذه المشاهد كلها لم تقع بعد لأنها من أحداث يوم القيامة، ولكن الله تعالى ذكرها بصيغة الماضي نظرا لكونها ثابتة في علمه عز وجل، ولتأكيد تحققها.

ويرى الإمام السهيلي أن مجيء الماضي في هذه الآيات على تقدير حكاية الحال كما قال الله سبحانه وتعالى:﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا ﴾ [الأنعام: 27]، والوقوف مستقبل لا محالة، ولكن جاء بلفظ الماضي حكاية لحال يوم الحساب فيه، لا مرتب على وقوف قد ثبت.

وكذلك قوله تعالى:﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ [القصص: 63]، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ﴾ [غافر: 49]، وهذا كثير في القرآن، الوقت مستقبل والفعل بلفظ الماضي.(14)

وقد تتبعت مواضع هذه الظاهرة في القرآن الكريم كله فتبين غلبة مواضعها في القسم المكي عنها في القسم المدني، ومنها قوله تعالى:

1- ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: 39].

2- ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف: 72].

3- ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴾ [الزخرف: 77]

4- ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الجاثية: 33].

5- ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ [الجاثية: 34].

النمط الثاني: عطف الماضي على المضارع:

الأصل أن يعطف الماضي على الماضي والمضارع على المضارع؛ لأن العطف يقتضي المناسبة كما هو مقرر في كتب النحو والبلاغة(15) ولكن خولف

(14)نتائج الفكر. للسهيلي، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت ،الطبعة الأولى (1992) ص 93.

(ISSN : 2536 - 9555)

هذا الأصل لغرض بلاغي فعطف الماضي على المضارع، ولذلك أمثلة كثيرة منها:

1- قوله تعالى:﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل: 87].

حيث عطف "فزع" على﴿ يُنْفَخُ ﴾ للدلالة على تحقق الفزع وتأكده.

2- قوله تعالى:﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ [الكهف: 47]، ولم يقل: «ونحشرهم» للدلالة على تحقق الحدث.

3- قوله عز وجل:﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ [هود: 98]؛ حيث عطف الماضي على المضارع للدلالة على تحققه قال الرازي: "فإن قيل: لم لم يقل: يقدم قومه فيوردهم النار؟ بل قال: يقدم قومه فأوردهم النار بلفظ الماضي؟

قلنا: لأن الماضي قد وقع ودخل في الوجود فلا سبيل ألبتة إلى دفعه، فإذا عبر عن المستقبل بلفظ الماضي دل على غاية المبالغة".(16)

4- ومنه قوله سبحانه: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ [البقرة: 266].

فقد اختلف المعربون في تأويل الفعل﴿ وَأَصَابَهُ ﴾ على ثلاثة آراء:

- فذهب فريق منهم إلى أن الواو للحال وجملة ﴿ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ ﴾ في محلِّ نصبٍ و"قد" مقدرةٌ أي: وقد أَصابه، وصاحبُ الحال هو ﴿ أَحَدُكُمْ ﴾، والعاملُ فيها

(15)يراجع –على سبيل المثال –في موضوع التناسب في العطف أوضح المسالك 317/3.والإيضاح للقزويني، 132/3.

(16)مفاتيح الغيب 394/18.

﴿ أَيَوَدُّ ﴾، ونظيرُها: ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ [البقرة: 28]، وقوله تعالى: ﴿وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا ﴾ [آل عمران: 168]؛ أي: وقد كُنتم، وقد قَعَدوا.

فالبنية السطحية ـ أصابه

والبنية العميقة ـ قد أصابه

- وذهب فريق ثان إلى أن الماضي قد وضع موضعَ المضارع، والتقديرُ «ويصيبه الكِبَر» كقوله تعالى: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ﴾ [هود: 98]؛ أي: فيوردهم. فعلى هذا الرأي تكون

البنية السطحية ← أصابه

البنية العميقة ← يصيبه

قال الفراء: «ذلك جائز فِي وددت لأن العرب تلقاها مرة ب (أن) ومرة بـ (لو) فيقولون: لوددت لو ذهبت عنا، [و] وددت أن تذهب عنا، فلما صلحت بلو وبأن ومعناهما جميعا الاستقبال استجازوا أن يردوا فعل بتأويل لو، على يفعل مع أن".[17]

وذهب فريق ثالث إلى أنه حُمِل في العطفِ على المعنى؛ لأنَّ المعنى: أيودُّ أحدُكم أَنْ لو كانَتْ له جنة فأصابه الكِبَرُ، وهذا الوجه فيه تأويلُ المضارع بالماضي ليصِحَّ عطفُ الماضي عليه، عكسُ الوجهِ الذي قبلَه، فإنَّ فيه تأويلَ الماضي بالمضارع. واستضعف أبو البقاء هذا الوجهَ بأنه يؤدي إلى تغيير اللفظ مع صحةِ المعنى[18].

---

(17)معاني القرآن للفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ط1،1/175.

(18)راجع في توجيه هذه الآية البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (2001) 327/2، والدر المصون للسمين الحلبي، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، 597/2.

(ISSN : 2536 - 9555)

5– ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: 170].

حيث عطف "أقاموا" على "يمسكون"، والذي سوغه كون الماضي في معنى المضارع؛ لأنه وارد في سياق ما يشبه الشرط وهو الاسم الموصول، قال الزركشي:" عُطف الماضي على المضارع؛ لأنها من صلة الذين وهو يضارع الشرط لإبهامه، والماضي في الشرط في حكم المستقبل".[19]

ومعنى ذلك أن البنية السطحية ← أقاموا

يقابلها البنية العميقة ← يقيمون

6– قوله تعالى:﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: 23]؛ حيث عطف الماضي "أوتيت" على المضارع "تملكهم"، وذكر المعربون فيه وجهين: الأول: أن الواو واو الحال، وجملة "أوتيت" في محل نصب على الحالية، وقد مقدرة.

والثاني: أن الواو واو العطف، وجاز عطف الماضي على المضارع؛ لأن المضارع بمعناه فكأنه قيل: ملكتهم، وأوتيت من كل شيء.[20]

فعلى الوجه الأول تكون:

البنية السطحية ← أوتيت

والبنية العميقة ← قد أوتيت

وعلى الوجه الثاني تكون:

البنية السطحية ← تملكهم

البنية العميقة ← ملكتهم

---

(19)البرهان في علوم القرآن، للزركشي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت (1988) 108/4.

(20)راجع الدر المصون للسمين الحلبي 597/8.

النمط الثالث: **مجيء الخبر بمعنى الإنشاء**:

قد تأتي الجملة الخبرية في مواضع من القرآن مضمنة معنى الإنشاء، فيتحول زمنها من الماضي إلى المستقبل، فتكون بنيتها السطحية إنشائية، وبنيتها العميقة خبرية، وقد يأتي عكس ذلك، فتتضمن الإنشائية معنى الخبرية، فتكون بنيتها السطحية إنشائية، وبنيتها العميقة خبرية، فيتحول زمنها كذلك، وسيأتي الحديث عنه، فمثال النمط الأول وهو تضمن الخبرية معنى الإنشائية:

1- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 127] .فالآية في ذم المنافقين بأنهم ينصرفون عن سماع القرآن، ثم تخبر عنهم بأن الله صرف قلوبهم، ويحتمل هذا الخبر أن يكون دعاء عليهم فتكون بنيته الظاهرة الماضي، وبنيته العميقة المستقبل. وإن قلنا: إنه خبر، فيكون زمنه الماضي ظاهرًا وباطنًا. قال أبو حيان: ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ صيغته خبر، وهو دعاء عليهم بصرف قلوبهم عما في قلوب أهل الإيمان".[21]

2- قوله عز وجل: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ [المائدة: 64]. فجملة ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ تحتمل الخبر والدعاء، فإن كانت خبرا فالفعل ماض، وإن كانت دعاء فالفعل مستقبل.

قال ابن عطية:" وقوله تعالى: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ دعاء عليهم، ويحتمل أن يكون خبرا، ويصح على كلا الاحتمالين أن يكون ذلك في الدنيا، وأن يراد به الآخرة، وإذا كان خبرا عن الدنيا فالمعنى غلت أيديهم عن الخير والإنفاق في سبيل الله ونحوه، وإذا كان خبرا عن الآخرة فالمعنى غلت في نار جهنم أي: حتم هذا عليهم، ونفذ به القضاء كما حتمت عليهم اللعنة بقولهم هذا وبما جرى مجراه"[22]

---

(21)البحر المحيط 531/5.

(22)المحرر الوجيز، لابن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1422هـ) 215/2.

(ISSN : 2536 - 9555)

النمط الرابع: التحولات الزمنية في الجملة الشرطية:

تعد الجملة الشرطية من الجمل المختصة بالزمن المستقبل؛ ولذا يقرر النحاة أن الأصل في فعل الشرط أن يكون مضارعًا، فإن جاء ماضيا كان معناه المستقبل، يقول ابن الخشاب:" وعلى الجملة فالشرط وجوابه لا يخلوان من طريق الأفعال وقسمتها من أن يكونا فعلين مستقبلين؛ وذلك هو الأصل في الباب؛ لأن المعنى الذي وضع الشرط عليه لا يكون إلا بالاستقبال، ولا يصح إلا به، وإذا كانا كذلك كانا مجزومي اللفظ، أو يكونا ماضيي اللفظ؛ فيحكم على معناهما بأنه مخالف للفظهما، وأنهما مستقبلان من طريق المعنى".[23] وعلى ذلك تأول النحاة ما جاء مخالفًا لهذه القاعدة كما في النصوص القرآنية الآتية:

1- قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ [الروم: 51]، فقالوا التقدير: "ليظلن" وقع الماضي المقرون باللام جوابا للقسم المحذوف؛ ولذلك دخلت عليه اللام موقع المستقبل، فهو ماض من حيث اللفظ، مستقبل من حيث المعنى"[24]

فتكون البنية السطحية ← لظلوا

وتكون البنية العميقة ← ليظلن

2- قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾ [البقرة: 145]، قال العكبري: ﴿ مَا تَبِعُوا ﴾: أي لا يتبعوا; فهو ماض في معنى المستقبل، ودخلت ﴿ مَا ﴾ حملا على لفظ الماضي، وحذفت الفاء في الجواب؛ لأن فعل الشرط ماض "[25]

(23) المرتجل في شرح الجمل لابن الخشاب، تحقيق علي حيدر، دمشق(1972) 219 .

(24) فتح القدير، للشوكاني، دار ابن كثير، دمشق، ط 1(1414 ه)542/2.

(25) شرح التسهيل، لابن مالك، تحقيق د. عبد الرحمن السيد، و د. محمد بدوي المختون، دار هجر، القاهرة، ط1(1990)36/3.

3- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: 185]، فالسياق هنا يدل على أن هذه الأفعال تقع في المستقبل؛ لأنها متعلقة بيوم القيامة، فالبنية العميقة للأفعال على التوالي:

يزحزح

يدخل

فسوف يفوز.

4- خروج إذا عن الاستقبال والظرفية:

الأصل في إذا أنها ظرف لما يستقبل من الزمان، لكنها قد تخرج عن دلالتها الأصلية فتستخدم على ثلاثة وجوه:

أحدها: الدلالة على الماضي كقوله تعالى: ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ [التوبة: 92]؛ حيث استخدمت "إذا" هنا للزمن الماضي؛ لأن الحدث وقع قبل نزول الآية.

ومثله قوله عز وجل:

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ [الجمعة: 11]؛ لأن الرؤية والانفضاض كان قبل نزول الآية، وقوله سبحانه: ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ [الكهف: 90]؛ لأن هذه قصة مضت. ومنه: ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ﴾ [النمل: 18]، ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ ﴾ [الأنعام: 25]، ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ [الكهف: 93]، ﴿ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ﴾ [الكهف: 96]، ﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا ﴾ [الكهف: 96]، فكل ذلك جاءت "إذا" فيه للماضي.

ومنه قول الشاعر:[26]

وندمان يزيد الكأس طيبا سقيت إذا تغورت النجوم

(26) البيت من الوافر، للبرج بن مسهر في شرح ديوان الحماسة 3/ 1272، وشرح أبيات المغنى 34/2، واللسان (ع رق) 4/ 314، وبلا نسبة في مغنى اللبيب 1/ 111.

(ISSN : 2536 - 9555)

لأن "رب" تدخل على الماضي، والشاعر يحكي عن فعل مضى.

والثاني: أن تجيء للحال، وذلك بعد القسم نحو:﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل:1]، ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ [النجم: 1]، قيل: لأنها لو كانت للاستقبال لم تكن ظرفا لفعل القسم؛ لأنه إنشاء لا إخبار عن قسم يأتي؛ لأن قسم الله سبحانه قديم، ولا لكون محذوف هو حال من ﴿ وَاللَّيْلِ ﴾، ﴿ وَالنَّجْمِ ﴾؛ لأن الحال والاستقبال متنافيان، وإذا بطل هذان الوجهان تعين أنه ظرف لأحدهما على أن المراد به الحال. اهـ.

قال ابن هشام:" والصحيح أنه لا يصح التعليق ب أقسم الإنشائي لأن القديم لا زمان له لا حال ولا غيره بل هو سابق على الزمان وأنه لا يمتنع التعليق بـ " كائنا" مع بقاء إذا على الاستقبال بدليل صحة مجيء الحال المقدرة باتفاق كـ " مررت برجل معه صقر صائدا به غدا" أي مقدرا الصيد به غدا، كذا يقدرون، وأوضح منه أن يقال: مريدا به الصيد غدا، كما فسر ﴿ قُمْتُمْ ﴾ في: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ [المائدة: 6] بـ "أردتم".[27]

الثالث: أن تدل على الزمن المستمر، وذلك في الأمور المعتادة والمتكررة كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴾ [البقرة: 14][28] ؛ لأن هذا دأبهم المستمر. ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [المعارج: 19 – 21]؛ لأن هذا هو طبع الإنسان في كل زمان.

(27) راجع مغني اللبيب 130.

(28) انظر معاني النحو للدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الفكر الأردن، ط1 (2000) 206/2.

المبحث الثاني

التحول عن الماضي إلى المستقبل أو الحاضر

وَقَدْ يُعَبَّرُ عَنِ الماضي بصيغة دالة على المستقبل أو الحاضر، وهو عكس السابق؛ فتكون البنية العميقة فعلا ماضيًا والبنية السطحية فعلا يفيد المستقبل مضارعًا أو أمرًا، كما في الأنماط الآتية:

النمط الأول: **مجيء المضارع في سياق الماضي**: **وله أمثلة منها**:

1- قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: 44]، فهذا لوم على أفعال ارتكبوها في الماضي، فالبنية العميقة:" أأمرتم الناس بالبر ونسيتم أنفسكم"، ولكن عبر بالمضارع لإفادة استمرارهم على هذه الأخلاق وتلك العادات.

2- قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59]، أَيْ فَكَانَ لكن عبر بالمضارع اسْتِحْضَارًا لِصُورَةِ تَكَوُّنِهِ.

3- قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: 102]؛ أَيْ: مَا تَلَتْ. فالبنية العميقة ماض والسطحية مضارع. والغرض إفادة الحركة والتجدد.

4- قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: 97]؛ أَيْ: عَلِمْنَا.

5- قَوْلِهِ: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾ [البقرة:91]؛ أَيْ: فَلِمَ قَتَلْتُمْ؟ لأن الذين قتلوا هم أسلاف اليهود.

6- قوله تعالى عن صاحبي يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾ [يوسف: 36]، فالبنية العميقة للتركيب إني رأيتني. ومثله قول الملك: ﴿ إِنِّي أَرَى

(ISSN : 2536 - 9555)

سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ [يوسف: 43]؛ أي إني رأيت، والملاحظ أن أفعال الرؤيا المنامية تأتي في القرآن الكريم بصيغة المضارع للإشارة إلى أن مضمونها لم يتحقق بعد وأن صاحبها لا يدري تأويلها. باستثناء رؤيا يوسف عليه السلام فإنها جاءت بصيغة الماضي؛ لأنه كان يعلم تأويلها.

النمط الثاني: **عطف المضارع على الماضي**:

ورد في آيات القرآن الكريم كثيرا عطف المضارع على الماضي لغرض بلاغي هو استحضار الحدث ومن ذلك:

1– قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر: 9]، فعطف﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾، وجاء به على صيغة المضارع بين فعلين ماضيين، وهما قوله: "أَرْسَلَ"، و"سُقْناهُ" والسبب في مثل هذا أن المضارع يوضح الحال، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن الإنسان يراها رأي العين، وليس كذلك الفعل الماضي إذا عطف؛ لأنه لا يعطى هذا المعنى ولا يدل عليه، فإذا قال "فتثير"، على جهة الاستقبال بعد ما مضى قوله: «أرسل». فإنما يكون دالا على تلك الحال التي تقع فيها إثارة الرياح للسحاب، واستحضار لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة. فالبنية العميقة على ذلك هي "فأثارت".

2– قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا ﴾ [الفرقان: 10]؛ حيث عطف "يجعل" بصيغة المضارع على "جعل" المتقدم عليه بصيغة الماضي، والحكمة في ذلك أن الجنات متجددة بزروعها وبما يجري فيها من الأنهار، فأغنى ذلك عن استخدام صيغة المضارع، أما القصور فهي بطبيعتها لا تقبل التجدد؛ لأنها أبنية ساكنة، لكن قصور الجنة لها شأن آخر فهي خير من قصور الدنيا فهي متجددة بأنواع

الزينة والنعيم والرفاهية، وهذا المعنى يستفاد من صيغة المضارع "يجعل". ولو جرى الكلام حسب الأصل والبنية العميقة فقيل "وجعل لك قصورًا" لما أفاد هذه الفائدة.

3- قوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: 25]، فالبنية العميقة "وصدوا عن سبيل الله"، فجاء به على صيغة المضارع، وعدل عن عطف الماضي على الماضي تنبيها على أن كفرهم ثابت مستمر غير متجدد، بخلاف الصّد، فإنه متجدد على مر الأوقات، وتكرر الساعات.

قال السمين: ﴿ وَيَصُدُّونَ ﴾: فيه ثلاثةُ أوجه:

أحدها: أنه معطوفٌ على ما قبلَه. وحينئذٍ ففي عطفِه على الماضي ثلاثةُ تأويلاتٍ. أحدُها: أنَّ المضارعَ لاً يُقْصَدُ به الدلالةُ على زمنٍ معينٍ من حالٍ، أو استقبالٍ، وإنما يُراد به مجردُ الاستمرارِ.

الثاني: أنه مؤولٌ بالماضي لعطفِه على الماضي.

الثالث: أنه على بابِه، وأنَّ الماضي قبلَه مُؤَوَّل بالمستقبل"[29]

والبنية العميقة على هذا الوجه الثالث من كلام السمين: إن الذين يكفرون ويصدون.

4- قوله سبحانه: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: 28]؛ حيث عطف "تطمئن" وهو مضارع على "آمنوا" للإشارة إلى استمرار طمأنينة قلوبهم بذكر الله.

5- قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: 63]، ولم يقل «فأصبحت» كما هو مقتضى البنية العميقة عطفا على "أَنْزَلَ" إشارة إلى أن إنزال الماء قد انقضى ومضى، واخضرار الأرض متجدد، ومشاهد في كل حين.

(29) الدر المصون 255/8.

(ISSN : 2536 - 9555)

6– قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج: 31].

فقال أولا: ﴿ خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ بلفظ الماضي، ثم عطف عليه المستقبل الذي هو ﴿ فَتَخْطَفُهُ ﴾، و ﴿ تَهْوِي ﴾ وإنما عدل في ذلك إلى المستقبل لاستحضار صورة خطف الطير إياه، وهوي الريح به.

وهكذا تفعل العرب بكل حدث عجيب أو مميز قصدا إلى التنبيه عليه وإحضاره في الذهن ومما ورد من ذلك في الشعر العربي قول ثابت بن جابر.[30]

بأَنِّي قَدْ لقيتُ الغُولَ تَهْوِي بسَهبٍ كالصَّحيفةِ صَحْصَحان
فأَضْربها بلا دهش فَخَرَّت صَريعًا لليَدين وللجِرانِ[31]

فإنه قصد أن يصور لقومه الحال التي تشجع فيها على ضرب الغول، كأنه يبصرهم إياها مشاهدة، للتعجب من جراءته على ذلك الهول، ولو قال: "فضربتها" عطفًا على الأول لزالت هذه الفائدة المذكورة.[32]

النمط الثالث: **عطف الإنشاء على الخبر**:

منع فريق من النحاة والمفسرين عطف الإنشاء على الخبر، بسبب تخالف الجملتين في المعنى والزمن، والعطف يقتضي المناسبة، يقول ابن هشام في حديثه عن استعمالات هل الاستفهامية:" التاسع أنه يراد بالاستفهام بها النفي، ولذلك

(30) الأبيات في الحيوان 234/6، والمثل السائر 14/2.

(31)"تهوي" بمعنى تسرع، والسهب: الفلاة، والصحصحان: ما استوى من الأرض. صريعا: فعيل بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، والجران في الأصل: مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره.

(32)راجع المثل السائر 147/2.

دخلت على الخبر بعدها "إلا" في نحو: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: 60]، والباء في قوله :[33]

ألا هل أخو عيش لذيذ بدائم

وصح العطف في قوله :[34]

وإن شفائي عبرة مهراقة وهل عند رسم دارس من معول

إذ لا يعطف الإنشاء على الخبر".[35]

ويقصد ابن هشام أن عطف الإنشاء على الخبر هنا له ما يسوغه وهو كون الاستفهام في معنى النفي. فهو إذن يرى أن هذا النوع من العطف ليس على إطلاقه.

وأجازه فريق آخر لورود ذلك العطف في كثير من الشواهد من القرآن وكلام العرب. ومنه:

1- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة: 125]، فظاهر الكلام أن "اتخذوا" معطوف على "جعلنا" على قول من يرى جواز عطف الإنشاء على الخبر، وفي الآية أقوال أخرى

(33)تمامه: يقول إذا اقلولي عليها وأقردت... ألا هل أخو عيش لذيذ بدائم
وهو من الطويل، للفرزدق في ديوانه 863، وشرح شواهد المغني 2/ 772، ولسان العرب 15/ 200 (قلا)، والمقاصد النحوية 2/ 135، 149، وبلا نسبة في أساس البلاغة 361.

(34)من الطويل، لامرئ القيس في ديوانه ص 9، وخزانة الأدب 3/ 448، 5/ 277، 285، 11/ 292؛ وسر صناعة الإعراب 1/ 257، 260؛ والكتاب 2/ 142، ولسان العرب 11/ 485 (عول)، 709 ، ومغني اللبيب 2/ 350، وهمع الهوامع 2/ 77، 5 14.

(35)مغني اللبيب 459.

(ISSN : 2536 - 9555)

أولها: أنه معطوف على قوله في خطاب بني إسرائيل: ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: 122]، أي: "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى" فيكون من عطف الإنشاء على الإنشاء.

الثاني: أنه معطوف على قوله: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة: 124] على تقدير قول محذوف أي: وقال، أو وقلنا: "اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى". على أن الأمر لإبراهيم وذريته.

الثالث: أن هذا أمر من الله تعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وهو اعتراض في خلال قصة إبراهيم عليه السلام، وكأنه قال: وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا أنتم يا أمة محمد من مقام إبراهيم مصلى"[36]، ويؤيده ما روي من قول عمر وافقت ربي في ثلاث في الحجاب، وفي ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾ [التحريم: 5]، وقلت يا رسول الله: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125].

وعلى هذين القولين الأخيرين يكون اتخذوا معمولا لقول محذوف، وتكون

البنية السطحية ← اتخذوا

والبنية العميقة ← قلنا اتخذوا

2- قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف: 29]؛ حيث عطف الأمر على الماضي؛ لأن الماضي معناه الأمر ففيه حمل على المعنى.

قال الخازن: "فإن قلت" قل أمر ربي بالقسط" خبر وقوله:" وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد" أمر، وعطف الأمر على الخبر لا يجوز فما معناه.

(36) راجع في هذه التوجيهات تفسير الرازي 43/4، وتفسير البيضاوي، تحقيق المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1(1418 هـ)105/1.

قلت: فيه إضمار وحذف تقديره: قل أمر ربي بالقسط، وقل «أقيموا وجوهكم عند كل مسجد» فحذف قل لدلالة الكلام عليه ومعنى الآية".[37]

وعلى هذا تكون البنية السطحية ← وأقيموا

والبنية العميقة ← قل أقيموا

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يونس: 104، 105]؛ حيث عطف "أن أقم" وهو إنشاء على جملة "أكون من المؤمنين" وهي خبرية؛ لأن الخبرية في معنى الإنشائية كأنه قال: كن من المؤمنين، وأقم وجهك. قال الشوكاني: "وجملة: ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ﴾ معطوفة على جملة ﴿ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾، ولا يمنع من ذلك كون المعطوف بصيغة الأمر؛ لأن المقصود من "أن" الدلالة على المصدر، وذلك لا يختلف بالخبرية والإنشائية، أو يكون المعطوف عليه في معنى الإنشاء كأنه قيل: كن مؤمنا ثم أقم والمعنى: أن الله سبحانه أمره بالاستقامة في الدين والثبات فيه، وعدم التزلزل عنه بحال من الأحوال".[38]

النمط الرابع: مجيء الخبر في صورة الإنشاء، وله عدة أمثلة منها:

1- قوله تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ [مريم: 38]، فقد ذهب جمهور النحاة إلى أن "أسمع" هنا فعل ماض جاء على صورة الأمر، والباء زائدة والفاعل مجرور لفظًا بالباء مرفوع محلا، فيكون الزمن هنا مستقبلا من حيث الصورة ماضيا من حيث التقدير، فنحن هنا أمام بنيتين سطحية وعميقة.

(37) تفسير الخازن، لعلاء الدين الخازن، دار الفكر، بيروت (1979) 193/2.

(38) تفسير الخازن 193/2.

(ISSN : 2536 - 9555)

قال ابن هشام عارضًا خلاف النحويين في هذه الصيغة: "وأجمعوا على فعلية أفعل، ثم قال البصريون: لفظه لفظ الأمر، ومعناه: الخبر؛ وهو في الأصل: فعل ماضٍ على صيغة "أفعل" بمعنى صار ذا كذا كـ "أغد البعير"؛ أي: صار ذا غدة، ثم غيرت الصيغة، فقبح إسناد صيغة الأمر، إلى الاسم الظاهر، فزيدت الباء في الفاعل؛ ليصير على صورة المفعول به، كـ " امْرُرْ بزيد" ..." وعلى هذا تكون البنية

السطحية أمر ⟵ أسمع بهم

العميقة ماض ⟵ أسمعوا

وقال الفراء، والزجاج، والزمخشري، وابن كيسان، وابن خروف: لفظه ومعناه الأمر؛ وفيه ضمير، والباء للتعدية، ثم قال ابن كيسان: الضمير للحُسْن، وقال غيره: للمخاطب، وإنما التُزم إفرادُه؛ لأنه كلام جرى مجرى المثل."[39]

وهو رأي وجيه، وسهل فهمه وتعليمه، وإن كان جمهور النحاة على خلافه، وعليه لا يكون في هذا التركيب تحويل.

2- قوله عز وجل: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ [مريم: 75]، فالفعل "يمدد" صيغته مضارع وزمنه مستقبل لاتصاله بلام الأمر، ومعناه الخبر والتقدير فقد مد له الرحمن مدا.

فيكون التحليل التحويلي على النحو الآتي:

بنية سطحية ⟵ فليمدد (فعل مضارع)

بنية عميقة ⟵ فقد مد (فعل ماض)

قال العكبري:" قوله تعالى: ﴿ قُلْ نْ كَانَ ﴾: هي شرطية، والأمر جوابها، والأمر هنا بمعنى الخبر; أي فليمدد له، والأمر أبلغ لما يتضمنه من اللزوم".[40]

(39)أوضح المسالك، لابن هشام الأنصاري، دار الجيل، بيروت، ط5(1979)3 /229.

وقال ابن مالك:" ونظير ما جاء في التعجب من لفظ الأمر مرادا به الخبر ما جاء من ذلك في جواب الشرط كقوله تعالى:﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾.[41]

***

النمط الخامس: الزمن القصصي:

كثر في القرآن الكريم ذكر قصص الأنبياء والأمم الغابرة، وهذه القصص مليئة بأفعال الماضي والمضارع والأمر، والمضارع فيها يدل من حيث الظاهر على الحال أو الاستقبال، كما أن الأمر كذلك يدل على المستقبل لكنهما في الحقيقة وفي البنية العميقة لنصوص هذه القصص يرجعان إلى الزمن الماضي؛ لأن أحداث هذه القصص كلها ماضية؛ ويسمى المستقبل في هذه الحالة بمستقبل الماضي[42] ، ويسمى الحاضر بحاضر الماضي. ومن ذلك:

1–قوله عز وجل في قصة مؤمن يس: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [يس: 20، 21]؛ إذ اشتملت هذه الآيات على فعل ماض "جاء"، وفعل دال على الحاضر "يسعى" وفعل دال على المستقبل "اتبعوا" لكن هذا بالنسبة لزمن القصة لكن بالنسبة لزمن نزول القرآن وما بعده تعد هذه الأفعال كلها ماضية. وهو المستوى العميق لها.

2–قوله تعالى في قصة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ. إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ.

(40) التبيان في إعراب القرآن للعكبري، تحقيق علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.880

(41) التبيان في إعراب القرآن 880.

(42) سبق إلى هذه التسمية الدكتور بكري عبد الكريم، في كتابه الزمن في القرآن الكريم 87.

(ISSN : 2536 - 9555)

قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ. قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ. أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ. قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ [يوسف: 7 – 13]، ففي هذه الآيات وما بعدها إلى نهاية القصة نجد أن الكلام مبنى على الفعل الماضي؛ لأن أحداث القصة وقعت في زمنه، ونلحظ هذا على وجه الخصوص في بداية الآيات.

أما ما يأتي بعد ذلك من أفعال المضارع والأمر فإنها تابعة للماضي ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ نجد أربعة أفعال مضارعة ولكنها تابعة للفعل الذي صُدِّرت به الآية وهو الماضي" قال" وقد أثر هذا الفعل في الأفعال التي بعده فصارت في حكم الماضي؛ لأنها واردة في سياق قصة ماضية. وينطبق هذا على جميع ما يرد في القصص القرآني من أفعال المضارع أو الأمر.

المبحث الثالث

التحول عن المستقبل إلى الحاضر:

ويقع هذا استحضارا لصورة الفعل في الذهن، وهو كثير أيضا في القرآن الكريم وله موضعان:

أحدهما: في مشاهد القيامة كما في الأمثلة الآتية:

1- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴾ [غافر: 47]، فلا قرينة تخصص المضارع هنا للاستقبال سوى سياق الحديث عن يوم القيامة، ولو أن الحديث جرى على المعتاد وفق القواعد النحوية لقيل سوف يتحاجون وهي البنية العميقة للتركيب، ولكنها خصوصية القرآن.

2- قوله سبحانه: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: 98]، فالبنية العميقة سوف يقدم قومه.

3- قوله عز وجل: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ. إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ. فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ. عَنِ الْمُجْرِمِينَ. مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ [المدثر: 38 – 42]، البنية العميقة سوف يتساءلون.

4- قوله جل شأنه: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [يونس: 45]، البنية العميقة سوف يتعارفون.

5- في الحديث عن أهل الجنة يقول الله تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا. وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا. وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا. قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا. وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا. عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا. وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾ [الإنسان: 13 – 19]، فالمقصود هنا استحضار مشهد أهل الجنة وهم يتنعمون فيها حتى كأن المخاطب يراهم رأي العين، ويلاحظ أن الآيات هنا جمعت بين صيغتي الماضي و المضارع، وإن كان سياقها سياق المستقبل، فأما الماضي فيشير إلى تحقق الحدث وتأكيده، وأما المضارع فيشير إلى استحضار الصورة في الذهن.

6- قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ [الجن: 9]؛ حيث جاء "الآن" وهو للحاضر بمعنى المستقبل توسعا؛ لأنه وارد في سياق الشرط. قال أبو حيان:" "الآن" ظرف زمان للحال، و"يستمع" مستقبل، فاتسع في الظرف واستعمل للاستقبال، كما قال:

سأسعى الآن إذ بلغت إناها

(ISSN : 2536 - 9555)

فالمعنى: فمن يقع منه استماع في الزمان الآتي، يجد له شهابا رصدا"[43]، فكأن البنية العميقة فمن يستمع بعد الآن.

ومثله قوله عز وجل: ﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [البقرة: 187]؛ حيث استعمل الآن وهو للحاضر مع فعل الأمر الدال على الاستقبال".[44]

الموضع الثاني: آيات الأحكام ولها عديد من الأمثلة منها:

1- قوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة: 233]، فالفعل "يرضعن" خبر معناه الأمر أي ليرضعن، فبحسب البنية السطحية زمنه حاضر، وبحسب البنية العميقة زمنه مستقبل.

2- قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة: 228]، فيتربصن زمنه حاضر من حيث البنية السطحية، ومستقبل من حيث البنية العميقة؛ لأن معناه الأمر.

وقد أوضح ذلك الزمخشري بقوله:" فإن قلت: فما معنى الإخبار عنهن بالتربص؟ قلت: هو خبر في معنى الأمر. وأصل الكلام: وليتربص المطلقات، وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر، وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله، فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص، فهو يخبر عنه موجوداً"[45]

المبحث الرابع

التحول من الزمن المختص إلى الزمن الدائم

التحولات الزمنية لكان:

الأصل في "كان" أنها تدل على الزمن الماضي لكنها قد تخرج عن ذلك فتدل على الزمن الدائم، وذلك كثير في الخبر عن الله عز وجل كقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ

(43) البحر المحيط 297/10.

(44) راجع الدر المصون للسمين الحلبي 432/1.

(45) الكشاف 270/1.

اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: 96] ، قال ابن جزي:" وقد تأتي بمعنى الدوام في مثل قوله: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾، ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان: 54]، وشبه ذلك، وهو كثير في القرآن، ومعناه: لم يزل ولا يزال موصوفا بذلك الوصف"(46)

وجاء في (الهمع): "تختص كان بمرادفة لم يزل كثيرا، أي أنها تأتي دالة على الدوام وإن كان الأصل فيها أن تدل على حصول ما دخلت عليه فيما مضى مع انقطاعه عند قوم، وعليه الأكثر كما قال أبو حيان، أو سكوتها عن الانقطاع وعدمه عند آخرين، وجزم به ابن مالك، ومن الدالة على الدوام الواردة في صفات الله تعالى نحو: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: 134]، أي لم يزل متصفا بذلك".(47)

وأنكر بعض النحاة مجيئها لهذا المعنى، ورأى أن دلالة الدوام مرجعها إلى السياق، قال الرضي: "وذهب بعضهم إلى أن (كان) يدل على استمرار مضمون الخبر في جميع زمن الماضي، وشبهته قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، وذهل أن الاستمرار مستفاد من قرينة وجوب كون الله سميعًا بصيرًا لا من لفظ (كان). ألا ترى أنه يجوز (كان زيد نائمًا نصف ساعة فاستيقظ) وإذا قلت (كان زيدا ضاربًا) لم يفد الاستمرار، وكان قياس ما قال أن يكون (كن)، و (يكون) أيضًا للاستمرار" .(48)

وقد تأتي للمستقبل فتكون بنيتها السطحية دالة على المضي وبنيتها العميقة دالة على الاستقبال، وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾ [البقرة: 114].

(46) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، ت. د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، 42/1.
(47) همع الهوامع 438/1.
(48) شرح الكافية للرضي 189/4.

(ISSN : 2536 - 9555)

قال الطاهر بن عاشور:" ومعنى ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين أنهم لا يكون لهم بعد هذه الفعلة أن يدخلوا تلك المساجد التي منعوها إلا وهم خائفون فإن "ما كان" إذا وقع "أن" والمضارع في خبرها تدل على نفي المستقبل، وإن كان لفظ (كان) لفظ الماضي و"أن" هذه هي التي تستتر عند مجيء اللام نحو ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾ [الأنفال: 33]، فلا إشعار لهذه الجملة بمضي".[49]

وعلى قول الطاهر بن عاشور تكون

البنية السطحية ← كان (فعل ماض)

والبنية العميقة ← يكون (فعل مضارع)

الفصل الثاني

عوارض التركيب والتحولات الزمنية

يقصد بعوارض التركيب التغيرات التي تعتري البنية التركيبية من تقديم أو تأخير أو حذف أو زيادة او فصل أو اعتراض أو غير ذلك، وقد لوحظ أن هذه التغيرات يصحبها تحولات زمنية يصبح بها التركيب مغايرًا للمألوف. الأمر الذي يعلي من القيمة الفنية والبلاغية للأسلوب. ونقتصر في دراسة هذه العوارض على نوعين: مخالفة الترتيب الزمني، والحذف، ونتناولهما من خلال المبحثين الآتيين:

المبحث الاول

عوارض الترتيب الزمني

من عجائب الترتيب الزمني في القرآن تقديم ما حقه التأخير من الناحية الزمنية، ولذلك أمثلة كثيرة منها:

(49) التحرير والتنوير 681/1. لمحمد الطاهر بن عاشور(ت1393هـ) الدار التونسية للنشر (1984) 681/1.

1- قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: 4]، فالبنية العميقة للتركيب: "جاءها بأسنا فأهلكناها ولكن عُكِس الترتيب، وقد وجه العلماء الآية بعدة توجيهات أهمها:

1. أن في الآية فعلا محذوفا تقديره أردنا إهلاكها أو حكمنا بإهلاكها.

وعلى ذلك يكون للتركيب بنيتان:

بنية سطحية ← أهلكناها

بنية عميقة ← أردنا إهلاكها

2. أن الإهلاك هو مجيء البأس ومجيء البأس هو الإهلاك فلما استويا لم يبال أقدم أم أخر. وهو قول الفراء.

3. أن الفاء ليست للتعقيب، وإنما هي للتفسير كما يقال: تَوَضَّأَ فَغَسَلَ كَذَا ثُمَّ كَذَا.

4. أن الفاء بمعنى الواو والواو لمطلق الجمع فلا تفيد الترتيب.

5. أن الفاء للترتيب الذكري لا الزمني فكأنه أخبر عن قرى كثيرة أنه أهلكها ثم قال فكان من أمرها مجيء البأس.

1- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ [الأعراف: 11]؛ حيث خولف الترتيب هنا؛ لأن خلق آدم كان قبل خلق ذريته وتصويرهم، وقد وجه العلماء الآية عدة توجيهات منها:

1. أن الخطاب كله لآدم أي خلقنا، آدم ثم صورنا آدم، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، وقد يخاطب المفرد بخطاب الجمع تعظيما له كما يقال للملك أو الأمير: أمرتم بكذا، وقضيتم بكذا، و"ثم" على هذا على أصلها من الترتيب الزماني.

2. أن الخطاب لبني آدم، و" ثم" للترتيب في الأخبار لا الزمان، وفي الكلام محذوف مقدر فروى الحارث عن ابن عباس: خلقناكم في ظهر آدم أي عند أخذ

(ISSN : 2536 - 9555)

الميثاق، ثم صورناكم في الأرحام، وقال ابن جبير عنه خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام النساء، وقاله عكرمة وقتادة والضحاك والأعمش، وقال ابن السائب خلقناكم نطفا في أصلاب الرجال وترائب النساء ثم صورناكم عند اجتماع النطف في الأرحام، وقال معمر بن راشد حاكيا عن بعض أهل العلم خلقناكم في بطون أمهاتكم وصورناكم فيها بعد الخلق شق السمع والبصر، و" ثم" على هذه الأقوال في قوله (ثم قلنا) للترتيب في الأخبار، وقيل الخطاب لبني آدم إلا أنه على حذف مضاف والتقدير: ولقد خلقنا أرواحكم ثم صورنا أجسامكم حكاه القاضي أبو يعلى في المعتمد ويكون "ثم" في (ثم قلنا) لترتيب الأخبار.

3. وقيل التقدير: ولقد خلقنا أباكم ثم صورنا أباكم ثم قلنا، فـ "ثم" على هذا للترتيب الزماني والمهلة على أصل وضعها.

وتكون البنية السطحية ← خلقناكم

البنية العميقة ← خلقنا أباكم

4. وقيل هو من تلوين الخطاب يخاطب العين ويراد به الغير فيكون الخطاب لبني آدم والمراد آدم؛ كقوله: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ [البقرة: 49]، ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة: 55]، ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾ [البقرة: 72]، هو خطاب لمن كان بحضرة الرسول من بني إسرائيل والمراد أسلافهم.

هـ. أن "ثم" في الآية بمعنى الواو، فلا تفيد ترتيبا. ويكون الترتيب بين الخلق والتصوير.

2- ومما عدل فيه عن الترتيب الزماني أيضًا قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: 2]؛ لأن قضاء الأجل قبل خلق الناس، وقد وجهت الآية بعدة توجيهات أهمها:

1. أن " قضى" بمعنى قدر وكتب وهذا متقدم على خلق آدم وذريته فتكون "ثم" للترتيب في الذكر لا في الزمان.

2. أن "قضى" بمعنى أظهر الأجل، وذلك متأخر عن الخلق، فتكون "ثم" للترتيب في الزمان على أصل وضعها.

3- قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: 59]؛ أي فكان، قيل: ثم لترتيب الإخبار لا للترتيب في الزمان لأن أمر التكوين مقدم على خلق آدم.

وقيل: بل هي للترتيب الزماني، ومعنى "كن" أي صر بشرا من روح ولحم ودم بعد أن كان قالبا من طين، فقد روي أنه بعد أن خلق قالبه بقي ملقى على باب الجنة أربعين سنة لم تنفخ فيه الروح.

4- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ. فَكُّ رَقَبَةٍ. أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ. يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ. أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ. ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد: 11 – 17]؛ حيث خولف الترتيب الزماني هنا فقدم الأعمال الصالحة من فك الرقبة والإطعام على الإيمان مع أنه الأصل، قال الزمخشري:" جاء بـ "ثم" لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة، لا في الوقت؛ لأن الإيمان هو السابق المقدّم على غيره، ولا يثبت عمل صالح إلاّ به."(50) والمقصود أن "ثم" هنا أفادت الترتيب في الذكر لا في الزمان.

5- قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ. فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴾ [الشعراء: 201 – 203]، فقد اختلف الترتيب الزماني هنا فتقدمت رؤية العذاب عن المفاجأة به، وللعلماء في توجيه التعقيب هنا ثلاثة أقوال:

(50) الكشاف 757/4.

(ISSN : 2536 - 9555)

الأول: قول الزمخشري وهو أن الفاء للتعقيب في درجة الشدة، وليس في الوجود الزماني قال الزمخشري" فإن قلت: ما معنى التعقيب في قوله: فيأتيهم بغتة؟ قلت: ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود، وإنما المعنى ترتبها في الشدّة، كأنه قيل: لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشدّ منها، وهو لحوقه بهم مفاجأة، فما هو أشدّ منه وهو سؤالهم النظرة. ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه: إن أسأت مقتك الصالحون فمقتك الله، فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أنّ مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين، وإنما قصدك إلى ترتيب شدّة الأمر على المسيء، وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقت الصالحين، فما هو أشدّ من مقتهم، وهو مقت الله"(51)

والقول الثاني: أن الفاء للتفسير، كأنه فسر رؤيتهم للعذاب.

جاء في تفسير الآلوسي:" إن رؤية العذاب تكون تارة بعد تقدم أماراته وظهور مقدماته ومشاهدة علاماته وأخرى بغتة لا يتقدمها شيء من ذلك، فكانت رؤيتهم العذاب محتاجة إلى التفسير، فعطف عليها بالفاء التفسيرية قوله تعالى: ﴿ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ﴾ وصح بينهما معنى التعقيب؛ لأن مرتبة المفسِّر في الذكر أن يقع بعد المفسَّر " .(52)

والقول الثالث: أن الآية من باب القلب كما هو أحد الوجوه في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ [الأعراف: 4] للمبالغة في مفاجأة رؤيتهم العذاب حتى كأنهم رأوه قبل المفاجأة. والمعنى حتى يأتيهم العذاب الأليم بغتة فيروه.

6- قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل: 98]، فالإشكال في الآية أن الفاء تفيد التعقيب فالمعنى الظاهر أنه يؤمر

(51) تفسير الكشاف 342/3.

(52) تفسير الآلوسي 127/10.

بمجيء الاستعاذة بعد قراءة القرآن، وليس الحكم الشرعي كذلك ولا عليه العمل. بل الحكم أنه يؤتى بالاستعاذة قبل قراءة القرآن، ولذلك تأول جمهور العلماء الآية على تقدير فعل محذوف والمعنى "إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله" قال ابن جزي:" ظاهر اللفظ أن يستعاذ بعد القراءة، لأن الفاء تقتضي الترتيب، وقد شذ قوم فأخذوا بذلك، وجمهور الأمة على أن الاستعاذة قبل القراءة، وتأويل الآية: إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله ..."[53]

فالبنية السطحية ← قرأت

والبنية العميقة ← أردت قراءة

7- وفي قوله تعالى: ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا. فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا. فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا. إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ [الصافات: 1 – 4] ذهب كثير من المفسرين إلى أن الفاء تفيد ترتيب هذه الموصوفات في الوجود قال الزمخشري:" فإن قلت: ما حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات؟ قلت: إما أن تدل على ترتب معانيها في الوجود، كقوله :[54]

يا لهف زيّابة للحرث الصّابح فالغانم فالآيب .....

كأنه قيل: الذي صبح فغنم فآب. وإما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه، كقولك: خذ الأفضل فالأكمل، واعمل الأحسن فالأجمل. وإما على ترتب

(53) التسهيل لعلوم التنزيل 435/1.

(54) البيت من السريع، لابن زيابة في خزانة الأدب 5/ 107، وشرح شواهد المغني 465، ومعجم الشعراء 208، وبلا نسبة في الجنى الداني 65، وخزانة الأدب 11/ 5، ومغني اللبيب 163، وهمع الهوامع 2/ 119.

(ISSN : 2536 - 9555)

موصوفاتها في ذلك، كقوله: رحم الله المحلقين فالمقصرين، فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاطفة في الصفات .[55]

والحاصل أن هذه من لطائف القرآن الخفية التي دار حولها الجدل بين العلماء لما فيها من اختلاف الترتيب الزماني.

المبحث الثاني

عوارض الحذف

كثيرا ما ترتبط التحولات الزمنية بحذف عنصر أو أكثر في الجملة أو السياق فيتوقف إدراك الدلالة الزمنية على ملاحظة هذا الحذف وله عدة أنماط منها:

1– حذف المضاف: وله عدة أمثلة منها:

1– قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [الذاريات: 12]، وقوله سبحانه: ﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴾ [القيامة: 6]، فقد وقع اليوم هنا مبتدأ مؤخرًا، ووقع اسم الاستفهام خبرا مقدمًا وجوبًا، وإنما وجب تقدمه لكونه له الصدارة، وهنا إشكال وهو كيف يخبر عن الظرف بظرف؟ والجواب عند النحاة أنه على تقدير مصدر محذوف، والمعنى: أيان وقوع يوم الدين. قال الزمخشري:" فإن قلت: كيف وقع أيان ظرفاً لليوم، وإنما تقع الأحيان ظروفاً للحدثان؟ قلت: معناه: أيان وقوع يوم الدين".[56].

فنحن هنا أمام بنيتين: إحداهما سطحية وهي "أيان يوم الدين"، والأخرى عميقة وهي "أيان وقوع يوم الدين".

2– قوله تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ [البقرة: 197]، فقد تحول ظرف الزمان إلى خبر للمبتدأ والأصل الحج في أشهر معلومات، وللعلماء في تأويله ثلاثة أوجه:

---

(55) الكشاف 34/4.

(56) الكشاف 400/4.

أحدها :أنه على حذف مضاف من الأول، تقديره: أشهر الحج أشهر معلومات.

الثاني: الحذف من الثاني تقديره: الحج حج أشهر، فيكون حذف من كل واحد ما أثبت نظيره.

الثالث: أن يُجعل الحدث نفس الزمان مبالغة، ووجه المجاز كونه حالا فيه، فلما اتسع في الظرف جعل نفس الحدث" [57]

3- قوله تعالى: ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف: 15]. فقد وضع ظرف الزمان موضع خبر المبتدأ، والأصل حمله وفصاله في ثلاثين يومًا، قال القرطبي:" أي:" ومدة حمله ومدة فصاله ثلاثون شهرا، ولولا هذا الإضمار لنصب ثلاثون على الظرف وتغير المعنى"[58]

فهو يرى تقدير مضاف محذوف حتى يتوافق المبتدأ مع الخبر في المعنى.

4- قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ [سبأ: 12]؛ حيث وقع الظرف خبرا للمبتدأ، قال السمين الحلبي:" قوله: «غدوها شهر» مبتدأ وخبر. ولا بد من حذف مضاف أي: غدوها مسيرة شهر أو مقدار غدوها شهر. ولو نصب لجاز، إلا أنه لم يقرأ به فيما علمت".[59]

وهكذا يلجأ النحاة إلى تقدير بنية عميقة لدرء التعارض بين النص والقاعدة.

وقد تناول النحويون قضية الإخبار بظرف الزمان عن اسمي العين والمعنى قال ابن مالك:

ولا يكون اسم زمان خبرا عن جثة وإن يفد فأخبرا[60]

(57) ينظر الدر المصون 322/2.

(58) تفسير القرطبي ، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية(1964).194/16.

(59) الدر المصون 161/9.

(60) ألفية ابن مالك، لمحمد بن عبد الله، ابن مالك ، دار التعاون.17

(ISSN : 2536 - 9555)

قال الشاطبي:" الظرف إما أن يكون مكانيا أو زمانيا، فإن كان مكانيا أخبر به عن كل اسم كان، اسم جثة نحو: زيد أمامك، أو اسم معنى نحو: قعود زيد مكانك ... وإن كان زمانيا فإما أن يكون المبتدأ اسم جثة أو اسم معنى، فإن كان اسم معنى أخبر عنه لحصول الفائدة بذلك، نحو: قيامك غدا... وإن كان اسم جثة فلا يخبر به عنه لعدم الفائدة بذلك، فلا تقول: زيد يوم الجمعة، ولا عبد الله غدا".[61]

5- كثيرا ما يقع ظرف الزمان بدلا من اسم قبله، وأكثر ما يكون ذلك في الظرف "إذ" وقد جاء ذلك في عديد من الآيات منها قوله تعالى: ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الزخرف: 39].

وقد استشكل المعربون هذه الآية. وذلك: أن قوله «اليوم» ظرف للحال، و «إذ» ظرف للماضي، و«ينفعكم» يدل على المستقبل؛ لاقترانه بـ «لن» التي لنفي المستقبل. والظاهر أن "ينفعكم" عامل في الظرفين، وكيف يعمل فعل المستقبل الذي لم يقع بعد في ظرف حاضر أو ماض؟ هذا هو الإشكال.

فأجيب عن إعماله في الظرف الحالي بأن الحال قريب من الاستقبال فيجوز فيه ذلك. كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ ﴾ [الجن: 9]، وقول عنترة:

سأسعى الآن إذ بلغت إناها[62]

وأما: «إذ» ففيها للمعربين عدة أوجه.

أولها: أنها بدل من اليوم قال ابن جني: «راجعت أبا علي فيها مرارا فآخر ما حصلت منه: أن الدنيا والآخرة متصلتان، وهما سواء في حكم الله تعالى وعلمه، فإذ بدل من اليوم حتى كأنه مستقبل أو كأن اليوم ماض. وإلى هذا اتجه

(61) ينظر شرح ألفية ابن مالك للشاطبي أبي إسحق إبراهيم بن موسى تحقيق د. محمد إبراهيم البنا وآخرين، جامعة أم القرى، ط1(2007)22/2/.

(62) ديوانه 292. تحقيق محمد سعيد مولوي 1970.

الزمخشري فذكر أن "إذ" بدل من "اليوم" ورأى أن المعنى: إذ تبين وصح ظلمكم، كما في قول الشاعر :[63]

إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة

أي: تبين أني ولد كريمة».

الثاني: أن في الكلام حذف مضاف تقديره: بعد إذ ظلمتم.

وعلى هذا الوجه يكون للكلام بنيتان:

سطحية ← إذ ظلمتم

عميقة ← بعد إذ ظلمتم

الثالث: أنها للتعليل. وحينئذ تكون حرفا للتعليل كاللام، أو أن كأنه قال لأن ظلمتم.

الرابع: أن العامل في «إذ» هو ذلك الفاعل المقدر لا ضميره. والتقدير: ولن ينفعكم ظلمكم أو جحدكم إذ ظلمتم".[64]

النمط الثاني: **حذف جواب الشرط**: **وله أمثلة منها**:

1- قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [فاطر: 4] لاحظ المعربون أن جواب الشرط ماض لفظًا ومعنى فمنعوا أن يكون قوله " فقد كذبت "هو الجواب وقدروا فعلا محذوفًا، قال أبو حيان:" فتكذيب الرسل واقع فيما مضى من الزمان، وإذا كان كذلك فلا يمكن أن يكون جواب الشرط؛ لأن الشرط مستقبل، وما ترتب على المستقبل مستقبل، فالجواب في الحقيقة إنما هو محذوف، ودل هذا

(63) معاني القرآن للفرّاء: 1/ 61، 178، وتفسير الطبري: 1/ 328، ومغني اللبيب: 1/ 64.

(64) يراجع في هذه الأوجه الدر المصون 591/9.

(ISSN : 2536 - 9555)

عليه، التقدير: وإن يكذبوك فتسلّ، فقد كذبت رسل من قبلك، فحالك مع قومك كحالهم مع قومهم.[65]

2- قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾ [التوبة: 40]، قال أهل التفسير:" الجوابُ محذوف لدلالة قولِه: «فقد نصره» عليه، والتقديرُ: إنْ لا تنصروه فسينصره الله. وذكر الزمخشري فيه وجهين، أحدهما: ما تقدم وهو أن الجواب محذوف، والآخر: أن الجواب هو هذا المذكور، والمعنى أنه أوجب له النصرة وجعله منصوراً في ذلك الوقت، فلن يخذل من بعده». قال أبو حيان: «وهذا لا يظهر منه جواب الشرط، لأن إيجاب النصرة له أمر سبق، والماضي لا يترتب على المستقبل، فالذي يظهر الوجه الأول».[66]

فالبنية السطحية إذن ← فقد نصره الله

والبنية العميقة ← فلن يخذل فقد نصره الله

الخاتمة

اتضح لنا من خلال البحث أن موضوع الزمن من موضوعات الحياة والوجود، وأنه مرتبط بحركة الكون، نشأ بنشأته ويفنى بفنائه وأن له بداية ونهاية مثل سائر المخلوقات، وأن اللغويين العرب عرفوا الزمن بأنه مقدار حركة الفلك، ومنهم من قال عنه: إنه مضي الليل والنهار، وأن علاقة اللغة بالزمن أنها تقدم ألفاظا تعبر عنه، وأن أقسام الزمن عند النحاة العرب هي نفسها أقسامه الموجودة في الواقع وهي: الماضي والحاضر والمستقبل، وأن بعض المحاولات الحديثة التي أحدثت أقساما جديدة لم تخرج به عن إطار هذه القسمة الثلاثية، وإنما هي مجرد تفريعات لها .

(65) البحر المحيط 685/2.

(66) انظر: الكشاف 272/2، والبحر المحيط 420/5، والدر المصون 51/6.

كما بين البحث أن العلاقة بين الفعل والزمن علاقة وطيدة وحقيقية وأن التوافق بينهما يكمن في معنى الحركة والتجدد، وليس الربط بينهما مجرد تحكم من النحاة أو افتعال كما يحلو لبعض المعاصرين أن يصفهم بذلك.

وفي محاولة لبيان سعة اللغة العربية وتفننها في التعبير عن الزمن ركز الباحث على الأنماط التحويلية لهذه الأزمنة الثلاثة في القرآن الكريم، فبين أن الماضي يأتي بمعنى المستقبل، والمستقبل يأتي بمعنى الماضي وأن الحاضر يأتي بمعنى المستقبل كذلك، وكل ذلك من خلال نماذج تطبيقية من آيات القرآن الكريم.

كما بين البحث خصوصية الاستخدام القرآني للزمن وتميزه في مواضع كثيرة منها:

1- خروج كان الواردة في صفات الله عز وجل عن الدلالة على الماضي إلى إفادة معنى الاستمرار والدوام.

2- الزمن الأصلي للأفعال الواردة في القصص القرآني هو الماضي حتى لو جاء في صورة المضارع أو الأمر. وقد تمت معالجة ما يمكن أن يسمى بالزمن المركب من زمنين مثل مستقبل الماضي وحاضر الماضي.

3- يغلب على الأفعال الواردة في مشاهد القيامة طريقة التعبير عن المستقبل بالماضي لإفادة معنى التحقيق كما في قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: 1].

4- يغلب على الأفعال الواردة في الأحكام الفقهية الدلالة على المستقبل أيا كانت صيغة الفعل ماضيًا" أو مضارعًا أو أمرًا لأن التكاليف مطلوبة من المكلف بعد الأمر. والأمر قد يأتي في صورة الخبر كما في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ [البقرة: 233].

5- أوضح البحث أن الدلالة الزمنية المزدوجة لبعض الأفعال الواردة في القرآن قد سوغت عطف المتغايرين في الصيغة مثل عطف المضارع على

(ISSN : 2536 - 9555)

الماضي أو العكس وهو كثير في النسق القرآني، ولذلك قيمته من الناحية البلاغية وهو تجسيد المشهد واستحضار الصورة في الفعل المضارع، والدلالة على التأكيد والتحقيق في الفعل الماضي.

6- بين البحث أن بعض الأدوات والظروف الدالة على الزمن قد تخرج عن دلالتها الأصلية حين توضع في سياقات معينة كما رأينا في "إذا" حين توضع مكان "إذ" والعكس، وفي "سوف" حين تحل محل "السين" والعكس. وفي "الفاء" و"ثم" حين تأتيان بمعنى الواو، وفي ذلك دلالة على أن معايشة النصوص قد تكشف لنا عن مؤشرات أسلوبية خاصة تخالف ما تواضع عليه النحويون.

7- تناول البحث بشكل مركز ما يمكن أن يسمى بالترتيب العكسي للزمن وهو أن يأتي حدث متأخر قبل حدث متقدم عليه في الوجود وهو من بدائع الأسلوب القرآني كقوله تعالى:﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾[الأعراف:4].

المراجع

1. الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1984.
2. الأصول في النحو، لأبي بكر بن السراج، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة 1987.
3. الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية لميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1983.
4. ألفية ابن مالك، لمحمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبي عبد الله، جمال الدين، دار التعاون.
5. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات الأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

6. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام الأنصاري. أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله، دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة، 1979.

7. الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن بن عمر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط3.

8. البرهان في علوم القرآن، للزركشي، أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت 1988.

9. البنى النحوية، لنعوم تشومسكي، ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز، مراجعة مجيد الماشطة، الطبعة الأولى، 1987م.

10. التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، تحقيق علي محمد البجاوي، عيسي البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

11. التحويل في النحو العربي، للدكتور رابح بو معزة، عالم الكتب الحديث، ط1، 2008 م.

12. التعريفات، للسيد الشريف الجرجاني – مطبعة مصطفي البابي الحلبي 1938 م.

13. تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.

14. تفسير البغوي= معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين ابن مسعود البغوي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ.

15. تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت 685هـ) تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ.

16. تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور(ت1393هـ) الدار التونسية للنشر، 1984م.

17. تفسير ابن جزي= التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي الغرناطي، ت. د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، ط1، 1416هـ.

(ISSN : 2536 - 9555)

18. تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن، دار الفكر، بيروت، 1979 م.
19. تفسير الرازي = مفاتيح الغيب، لفخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420 هـ.
20. تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى 1422هـ.
21. تفسير فتح القدير، للشوكاني، محمد بن علي بن محمد اليمني، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، 1414 هـ.
22. تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد ابن أحمد بن أبي بكر، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية 1964م.
23. تفسير الكشاف = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 هـ.
24. جامع البيان في القراءات السبع للداني عثمان بن سعيد بن عثمان، جامعة الشارقة الطبعة الأولى، 2007 م.
25. الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، بدر الدين حسن بن قاسم (ت 749هـ) تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، 1992 م.
26. الحيوان، للجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1996م.
27. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الرابعة.
28. دراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عضيمة. (ت1404 هـ) دار الحديث، القاهرة.
29. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي أبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

30. شرح التسهيل، لابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجياني(ت672هـ) تحقيق د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1990م.
31. شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت421هـ) تحقيق غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003 م.
32. رصف المباني، للمالقي أحمد بن عبد النور (ت702 هـ) تحقيق أحمد محمد الخراط، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق.
33. الزمن في القرآن الكريم، للدكتور بكري عبد الكريم، دار الفجر، القاهرة، 1997م.
34. الزمن واللغة، للدكتور مالك يوسف المطلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986م.
35. شرح ألفية ابن مالك= المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للشاطبي أبي إسحق إبراهيم بن موسى، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا وآخرين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 2007 م.
36. شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور، علي بن مؤمن، تقديم فواز الشعار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
37. شرح المفصل، لابن يعيش، مكتبة المتنبي – القاهرة.
38. شرح كافية ابن الحاجب، لرضي الدين الاستراباذي، مطبعة الشركة الصافية العثمانية 1210هـ.
39. كشاف اصطلاحات الفنون، لمحمد علي الفاروقي التهانوي، تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر 1969م.
40. اللباب في علل البناء والإعراب، للعكبري، أبي البقاء عبد الله بن الحسين، تحقيق د. عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط1 (1995).
41. اللغة العربية معناها ومبناها، للدكتور تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية 1979م.

(ISSN : 2536 - 9555)

42. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثيرت 637هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1990م.
43. المرتجل في شرح الجمل لابن الخشاب. أبي محمد عبد الله بن أحمد (ت 567 هـ) تحقيق علي حيدر، دمشق، 1972 م.
44. معاني القرآن للفراء، أبي زكريا يحيى بن زياد الديلمي (المتوفى: 207هـ) تحقيق أحمد يوسف النجاتي، وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى.
45. معاني النحو للدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، الأردن، ط1، 2000.
46. مغني اللبيب، لابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة محمد علي صبيح، بدون تاريخ.
47. المواقف في علم الكلام، للقاضي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، مكتبة المتنبي، القاهرة.
48. نتائج الفكر، للسهيلي، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1992 م.
49. النحو العربي والدرس الحديث للدكتور عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت 1979م.
50. همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى، محمد أمين الخانجي، القاهرة 1327هـ.

***